وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

﴿حَآفِّينَ﴾ وترى الملائكة محيطين بعرش الرحمن جل جلاله من كل جانب ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ مسبحين لله، وممجّدين له على فضله وكماله ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ قضي بين العباد بالعدل، فدخل المؤمنون الجنة، والكافرون النار ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جميع الخلائق حمدوا الله عزّ وجل، المؤمنون يحمدون الله على فضله، والكافرون يحمدونه على عدله، ولهذا جيء بلفظ الغائب، قال ابن كثير: نطق الكون أجمعُه، ناطقُه وأعجَمُه بالحمد لله في حكمه وعدله، ولهذا لم يسند القول إلى القائل، بل أطلقه، فدلّ على أن جميع المخلوقات شهدتْ له بالحمد.

* * *

سورة غافر

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ يقبل توبة العصاة ويعفو عن ذنوب العباد ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ صاحب الفضل والإنعام ﴿مَا يُجَٰدِلُ﴾ ما يخاصم وينازع في آيات القرآن، إلا الكفار الفجار ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ﴾ فلا تنخدع بما هم عليه من النعيم فإنه زائل، وعاقبتهم إلى نار جهنم ﴿وَهَمَّتْ﴾ همت كل أمة من الأمم المكذبة برسولها ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ ليبطشوا به ويقتلوه ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ جادلوا رسلهم بالباطل ليبطلوا به الحق الساطع ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب العاجل ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ كيف كان عقابي لهم؟ ألم يكن فظيعاً مريعاً؟ ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وجبت كلمة العذاب عليهم ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أي لأنهم كفرة فجرة، أصحابُ الجحيم، يستحقُّون أن يُحرقوا بها.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ
مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ
ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ
ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ
لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾
فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

﴿عَدْنٍ﴾ إقامة دائمة ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ احفظهم من فعل المنكرات والمعاصي ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ بغضُ الله الشديد لكم ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أعظمُ من بغضكم اليوم لأنفسكم ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ حين كنتم في الدنيا تُدعون إلى الإيمان، فتصرُّون على الكفر ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ قال الكفار حين شاهدوا الشدائد والأهوال: يا ربنا أمتنا مرتين، وأحييتنا مرتين ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ أقررنا بما فعلناه من الذنوب ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ هل هناك طريق لإخراجنا من النار لنعمل بطاعتك؟ والمراد بالموتتين: الأولى حين كانوا في العدم، والثانية حين ماتوا في الدنيا، والحياةُ الأولى حياة الدنيا، والحياة الثانية، حياة البعث،

قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ ينزل لكم المطر الذي هو سبب الرزق، والذي به تخرج الزروع والثمار ﴿مَّن يُنِيبُ﴾ من يرجع إلى الله بالتوبة والعمل الصالح ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ هو الكبير المتعال، صاحب الرفعة والعظمة ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ ينزِّل الوحي على من يشاء من خلقه، سمَّى الوحي روحاً، لأنه يسري في القلوب، سريان الروح في الجسد ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ يوم يلتقي البشر في أرض المحشر، للحساب والجزاء ﴿بَٰرِزُونَ﴾ ظاهرون أمام أبصار جميع الخلق، لا يستترهم شيء، ويقول الله في ذلك اليوم: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ﴾؟ فلا يجيبه أحد، لأن الخلائق خائفون فزِعون، فيجيبُ نفسه بنفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ **قال الحسن**: هو تعالى السائلُ، وهو المجيب.!

اَلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ
لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ
بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ
قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا
وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ
فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ
عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟
نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾

﴿يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ خوّفهم ذلك اليوم الرهيب «يوم القيامة» سميت القيامة آزفة لقربها ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ تصوير بليغ لشدة الهول أي تكاد قلوبهم من شدة الخوف تبلغ الحلقوم ﴿كَاظِمِينَ﴾ مملوئين غماً وحسرة، شأن الشخص المكروب ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ يعلم الأعين الخائنة التي تسارق النظر إلى المحرّم، قال ابن عباس: الرجل يكون جالساً مع الناس، فتمرُّ المرأة فيسارقهم النظر إليها ﴿يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ يحكم بالعدل ﴿يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ يعبدونهم من الأوثان والأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ لا يستطيعون حكماً ولا قضاء لأنها جمادات، فكيف يكونون شركاء مع الله؟ ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كانوا أشد قوة من كفار مكة ﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ وأقوى منهم بما عمروه فيها من الحصون والقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم إهلاكاً فظيعاً لمَّا كذبوا الرسل ﴿مِن وَاقٍ﴾ ما استطاع أحد أن يدفع عنهم عذاب الله، ويقيهم من عقابه ﴿وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ استبقوا النساء للخدمة ﴿مَا كَيْدُ﴾ ليس عمل فرعون وتدبيره، إلّا في ضَيَاع، وفي تخبُّط وخسران.

لمَّا أظهر لهم موسى معجزته الباهرة، من (اليد) و (العصا) قالوا: اقتلوا ذكور بني إسرائيل لئلا يتناسلوا، واستبقوا نساءهم للخدمة!! وهذا القتلُ غيرُ القتل الذي وقع عند ولادة موسى عليه السلام، فقد كان القتلُ الأول خشية ولادة موسى، وهذا القتلُ الثاني بعد أن بُعث موسى وخشي فرعونُ على ملكه أن يزول.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ
ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى
يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ
لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ
أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

﴿أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ قال فرعون الجبار: اتركوني حتى أقتل لكم موسى ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ ولْيستغثْ ربه حتى يخلصه مني ﴿يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ أخشى أن يفسد عليكم دينكم، بالدعوة إلى عبادة الله وحده ﴿ٱلْفَسَادَ﴾ يثير الفتن في أرض مصر، فيقع الهرجُ والمرج، وهذا كما يُقال في المثل: «صار فرعون واعظاً» ﴿عُذْتُ﴾ قال موسى: إني اعتصمت بالله والتجأتُ إليه ليحفظني ﴿مِن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ من شر كل جبار، لا يؤمن بيوم الحساب ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥ﴾ يخفي إيمانه، كان قبطياً فآمن وهو ابن عم فرعون ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ أتقتلون رجلاً لا ذنب له إلا لأجل أن قال: ربي الله؟ من غير تفكر ولا تبصر في أمره ﴿جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ جاءكم بالمعجزات الواضحات التي شاهدتموها من عند ربكم ﴿ظَٰهِرِينَ﴾ غالبين عالين في أرض مصر ﴿مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ من بقدنا وينجّينا من عقاب الله إن قَتَلْنا رسولَه؟ ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ الأمم الماضية التي تحزّبت على معاداة رسلها ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ يوم القيامة يوم يُنادي الخلائقُ للحساب ﴿مِّنْ عَاصِمٍ﴾ من يمنع ويدفع عنكم عذاب الله.. تنبيه: جاءهم بطريق النصح والملاطفة، ليبعد عنه التهمة، أنه من أتباعه وأنصاره، فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ ولم يذكر اسمه، ليوهم أنه لا يعرفه، ثم قال: ﴿أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ ولم يقل لهم: هو نبيُّ الله، أو هو رجل مؤمن بالله، لئلا يشعروا أنه متعصّبٌ له، وقدّم الكذب على الصدق ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا﴾ ثم قال: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ ولم يقل: يُصبكم جميعُ ما وعدكم به، فكلامُه في منتهى الحكمة والتحفظ.

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ
مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ
ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ ۖ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ
دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ
وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ جاءكم يوسف من قبل موسى بالمعجزات الساطعات ﴿فِي شَكٍّ﴾ فلم تزالوا في شك من رسالته ﴿هَلَكَ﴾ مات ﴿مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ لن يأتي أحد يدّعي الرسالة بعد يوسف (ويوسف عليه السلام) كان قبل فرعون وهو الذي أدار شؤون الدولة في مصر في سنوات القحط والجدب ﴿مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ مسرف في المعاصي، شاك في دين الله ووحدانيته ﴿سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ يجادلون في دين الله بغير برهان ولا حجة ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ ما أعظم بغض الله لهم؟ بمعنى أن بغض الله لهم شديد ﴿ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ هامان وزير فرعون، يقول له فرعون: ابن لي يا هامان قصراً عالياً، وبناءً شامخاً منيفاً ﴿أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ لعلي أصل إلى أبواب السموات وطرقها وأرى إلٰه موسى!! يقوله ليوهم أنه يبحث عن الله تمويهاً عليهم، لئلا يؤمن أحد بكلام المؤمن الناصح، ولهذا أتبعه بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ إني لأعتقد أن موسى كاذب في دعوى أنَّ له إلٰهاً غيري ﴿فِي تَبَابٍ﴾ وليس مكر فرعون واحتياله في الصدِّ عن سبيل الله، إلا في خسار وهلاك، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ يطلب فرعونُ من وزيره (هامان) أن يبني له قصراً عالياً، شامخاً رفيعاً ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ لعله يصل إلى الطرق الموصلة إلى السماء، فيرى إلٰه موسى نظر عيان، ومع هذا التصور السخيف، يجزم فرعونُ بكذب موسى ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ وهذا يؤكّد أنّ فرعون كان يريد التمويه على قومه، لأن بلوغ السماء مستحيل، ولكنه يتظاهر بالبحث عن الإلٰه!؟

﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

﴿مَا لِيٓ﴾ أنا أعجب من حالكم ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ أدعوكم إلى الإيمان الموصل إلى الجنان، وأنتم تدعونني إلى الكفر الموصل إلى النيران!! ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً إن ما تدعونني لعبادته باطل، لأنه ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ لا يجيب داعيه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا ينفع ولا يضرُّ ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وأن مرجعنا إلى الله وحده، فيجازي كلاً بعمله ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ وأن الكافرين الممالين في الكفر والضلال، سيخلَّدون في نار الجحيم ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ سترون صدق كلامي عندما يحلُّ بكم العذاب ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ نجّاه الله من القتل ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾ نزل بفرعون وجماعته الأشقياء أشدُّ أنواع العذاب، وهو الغرق في البحر ﴿يَتَحَآجُّونَ﴾ يختصمون في النار، الرؤساء والأتباع ﴿ٱلضُّعَفَٰٓؤُا﴾ يقول الأتباع المخدوعون لرؤسائهم الزعماء المضلِّين ﴿كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ كنا في الدنيا أتباعاً لكم، كالخدم نطيعكم، وننقاد لأوامركم ﴿مُّغْنُونَ عَنَّا﴾ فهل أنتم تدفعون عنّا قدراً يسيراً من العذاب؟ ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ قال الرؤساء الطغاة: إننا جميعاً في النار، ولو قدرنا على دفع العذاب عنكم، لدفعناه عن أنفسنا!! ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ زبانية جهنم وحُرَّاسها ﴿يُخَفِّفْ عَنَّا﴾ ادعوا لنا ربَّ العزة والجلال، ليخفِّف عنّا ولو يوماً واحداً، ممَّا نحن فيه من العذاب!! فتجيبهم الملائكة على وجه التوبيخ: ادعوا أنتم ربكم، فإنا لا نجترئ على ذلك، ولكن نبشِّركم أنَّ دعاءكم لا يفيد ولا ينفع شيئاً، فقد حكم الجبَّارُ بخلود الكافرين في النار.

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا
بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ
وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى
وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ
وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ
اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ۚ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾
وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أمّا جاءتكم الرسل بالمعجزات الواضحات؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ قالوا بلى أتونا فكذبناهم ﴿فَادْعُوا﴾ تقول لهم الملائكة: ادعوا أنتم ربكم، فإنا لا نجترئ على ذلك، وقولهم هذا للدلالة على الخيبة، فإذا لم يسمع دعاء الملائكة، كيف يسمع دعاء الكفار؟ ﴿يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ننصرهم في الدنيا ويوم القيامة، والأشهادُ هم الملائكة والنبيون، الذين يشهدون على أعمال العباد ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ لا ينفعهم اعتذارهم ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ ولهم الطرد من رحمة الله ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ بالمساء والصباح، والمقصودُ المواظبةُ على ذكر الله، وأن لا يفتر اللسان عنه ﴿يُجَادِلُونَ﴾ يخاصمون في الآيات القرآنية ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ بغير برهان ولا حجة ﴿إِلَّا كِبْرٌ﴾ ما يحملهم على ذلك إلا التكبرُ عن الحقّ ﴿مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ ليسوا واصلين إلى مرادهم من إطفاء نور الله ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ تحصَّنْ بالله من كيدهم، فإنه سبحانه يدفع عنك شرَّهم ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ خلقُ الله للسموات والأرض، أعظمُ وأضخمُ من خلق البشر، والغرضُ من الآية: إثبات البعث والحساب، فإن الإله الذي خلق السموات والأرض، بهذا الشكل العظيم المدهش، كيف لا يقدر على إعادة الأجسام بعد موتها وفنائها؟ وهو الذي خلقها بنظام عجيب دقيق، ولكنْ لا يدرك هذا مَنْ كان أعمى البصر. ﴿الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ المراد بالأعمى هنا: الكافرُ، وبالبصير: المؤمنُ، لا يتساوى المؤمن والكافر، كما لا يتساوى الصالح والطالح.

سورة غافر

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ
﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ
بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ
إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ
ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ إن القيامة آتية لا محالة ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا شكَّ في ذلك ولا مرية ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدِّقون بمجيئها لقصور أفهامهم، وضعف عقولهم، والمراد بأكثر الناس: الكفار الذين ينكرون البعث ﴿دَاخِرِينَ﴾ الذين يتكبرون عن عبادة الله ودعائه، سيدخلون جهنم ذليلين مهينين، لأن من تكبَّر على الله أهانه ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ جعل النهار مضيئاً مشرقاً، لتبصروا فيه منافعكم ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ كيف تصرفون عن عبادة الرحمن، إلى عبادة الأوثان؟ ﴿قَرَارًا﴾ مستقراً لكم في حياتكم، عليها تبنون وفيها تزرعون، ومصيركم إليها بعد الموت كما قال سبحانه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾

الجزء ٢٤ الحزب ٤٨

﴿يَجْحَدُونَ﴾ يكذِّبون وينكرون ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾ خلقكم في أجمل صورة، وأحسن شكل ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ هو الباقي الذي لا يفنى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود بحقٍّ إلَّا الله سبحانه ﴿أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أمرت أن أستسلم، وأذل وأخضع لله رب العالمين، وأن أخلص له عبادتي وديني!! **قوله تعالى:** ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ القرارُ هنا: بمعنى السَّكن والاستقرار، أي جعلها لكم منزلاً وسكناً تستقرُّون عليها، وليس كما فهم البعضُ أنها واقفةٌ غير متحركة، إذْ لو كانت الأرض لا تدور حول الشمس، لما تعاقب الليل والنهار، فالشمسُ تدور، والقمرُ يدور، والأرض تدور، والنجومُ تدور ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فالأرض مع حركتها ودورانها تمسكها يد القدرة الإلهية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟
شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا
قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾
فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ
مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ
نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ
تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَإِمَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ كمال شبابكم وقوتكم ﴿شُيُوخًا﴾ تصبحوا في سن الشيخوخة والهرم ﴿أجلا مُّسَمًّى﴾ أجل الموت الذي حُدِّد لكل إنسان ﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال ﴿كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ كذبوا بالقرآن الواضح الساطع ﴿بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ وكذبوا بالكتب والشرائع السماوية ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة التكذيب، وهو وعيد وتهديد ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ﴾ حين تربط أيديهم مع أعناقهم بالقيود والسلاسل ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ يُجرُّون بتلك السلاسل إلى الماء المتناهي في الحرارة ﴿يُسْجَرُونَ﴾ ثم في نار الجحيم يُحرقون، قال ابن كثير: معنى الآية أن السلاسل متصلة بالأغلال، وهي بأيدي الزبانية، يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم، وتارة إلى الجحيم ﴿أَيْنَ تُشْرِكُونَ﴾ أين الأوثان التي كنتم تعبدونها من دون الرحمن؟ أدعوهم ليخلِّصوكم من العذاب ﴿ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ غابوا عنا وفقدناهم فلا نراهم ﴿تَمْرَحُونَ﴾ ذلك العذاب بسبب بطركم واستكباركم على الله ﴿مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ بئست جهنم مأوى ومسكناً للطغاة المتكبرين ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك، فإنَّ وعْدَ الله بتعذيبهم والانتقام منهم، كائن لا محالة ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ فإن أريناك بعض ما وعدناهم من العذاب، لنُقِرَّ به عينك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ أو نقبضك قبل عذابهم، فمرجعهم إلينا لنجازيهم بأعمالهم، وهذا توجيهٌ للدعاة، أن يتأسوا برسول الله ﷺ، بالصبر على أذى السفهاء.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ
بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ
لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۖ فَأَىَّ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم
مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ أخبرناك عن أحوالهم، وما لاقوه من أقوامهم ﴿لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ ومن الرسل من لم نخبرك عن قصصهم وأنبائهم، والآية تسلية للرسول ﷺ بما لاقى الرسل ليتأسى بهم ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ لا يصح لرسول أن يأتي بشيء من الخوارق والمعجزات، إلا بأمر الله ورضاه، وهو ردٌّ على قولهم: اجعل لنا جبل الصفا ذهباً، وأجر لنا الأنهار في مكة ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ الوقت المحدَّد لعذابهم ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ وخسر في ذلك الوقت كل مبطل وفاجر ﴿ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ خلقها وسخَّرها لكم ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾ لتركبوا على ظهور بعضها كالإبل ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وتأكلون من لحومها وألبانها ﴿حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ بحمل الأثقال في الأسفار البعيدة

﴿عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أفلم يسافروا ليعرفوا عاقبة الطغاة المتمردين على الله ورسله؟ ماذا فعل الله بهم؟ ﴿مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ اغترُّوا بعلومهم الدنيوية ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ نزل بهم جزاء الكفر والاستهزاء ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ لمَّا شاهدوا العذاب الأليم ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ آمنوا حين لا ينفع الإيمان، ولا تجدي التوبة ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ هذه طريقة الله وسُنَّته في المكذبين، أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ظهر خسران كل كافر وفاجر، وقت رؤيتهم للعذاب، حيث لا ينفعهم ندم ولا توبة، ولا يفيدهم استغاثة ولا اعتذار ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾.

* * *